# اللسانيات التطبيقية من ملابسات النشأة إلى تشعّبات التطور

# The Applied Linguistics from the Circumstances of the Birth to the Complexity of Development

# La linguistique appliquée des circonstances de la naissance à la complexité du développement

د، محمد خاين

المركز الجامعي أحمد زبانة بغليزان- الجزائر-

Khainmohamed2001@gmail.com

0778271927



| تاريخ الإرسال: | تاريخ القبول | تاريخ النشر |
|---|---|---|
| 2018-12-27 | 2019-01-15 | 2019-02-28 |



**الملخص:**

تقترح هذه الورقة تعاملا تاريخيا إبستيميا، مستندا على السياقات العلمية التي لابست إشكالية النشأة بالنسبة للسانيات التطبيقية، مراعية في ذلك الفضاءات الجغرافية التي نما وترعرع فيها هذا الحقل المعرفي مصطلحا ومفهوما وموضوعات، وكذا دواعي التشعب والتفرع المصاحبة لفعل التطور، محاولين الوعي بمساره التراكمي الذي أوصله إلى ما هو عليه في نهاية العقد الثاني من الألفية الثانية.

**الكلمات المفتاحية:** اللسانيات التطبيقية؛ النشأة؛ التطور؛ السياقات العلمية، المأسسة.

**Abstract :**

In this article, we propose a historical-epistemological approach, whose purpose is to clarify the scientific contexts, and the socio-economic conditions that surrounded the disciplinarization and institutionalization of applied linguistics, taking into account geographical areas in which this discipline has developed in terms, concepts and subjects, as well as the reasons for the divergences of evolution experienced by applied linguistics. at the end of this decade of the third millennium.

**keywords :** Applied Linguistics ; Evolution ; Development ; Scientific Contexts ; Institutionalization.

**Abstract :**

The value of historical search will work on correcting some of the historical arguments that belong to the applied linguistics field, its origin and its evolution, which are often mentioned in Arabic writings belonging to this field of knowledge that: the American environment was the first and right incubator of the applied linguistics studies, and to consider that the term chosen for this discipline was, by excellence, an American intellectual property. From our point of view, we see that is not always true, and there is a sort of amalgam between the institutionalization of the applied linguistics field as a proper

scientific discipline, and its usage by the academic institutions, which oblige us to chronicle the start of it by its employment in academic research and scientific studies and the context which held it.

Based on this introduction, this paper suggests an epistemological and a historical treatment of this opinion based on the scientific contexts, that covered the problematic of origin of the applied linguistics; and considering the geographical area that allowed this scientific field to grow up from the term to the concepts and themes, and even the reasons of the complexity and the variety that accompanied its development ; trying to be aware of its accumulation that brought it to a higher level in the second decade of the third millennium. What concerns us from all of this is the last place of applied linguistics field that allowed it to be opened to all areas that the communication will be the major topic in all of its linguistic forms such as the contributions of these linguistic facts in modeling: the identities, the writing forms of the professionals, and the scope of functioning of lexicological and syntactic side of the language, and even the linguistic forms inside the work sites, and the function of language in making professional decisions, and the study of the business discourses, so that the applied linguistic approach geared towards the linguistic manifestations about the treated subject presented in the linguistic performances.

This does not mean that this field abandoned its respective, favorite field of teaching languages; whatever this scientific of specialization will be. Moreover, it does not stop to bring new areas to its circle of influence; arguing that its presence in any linguistic phenomenon gives it legitimacy and authority of intervention, treatment, descriptions, as we have indicated in more than once in this study. The platform which stands for applied linguistics field now can be its crucial turn sociologically, culturally, and politically which begun by the learning issues, to the problems of communication in its diversity, the multiplicity of forms in the current place. It's not only about applying some issues of theoretical linguistics, but can reach the level of some independent approaches based essentially on some linguistics' theories and working on proposing new own theories generally with interconnection between other fields.

We figured that this paper will be based on as follows:

- Introduction
- In Germanic context : birth and growing
- In Anglo-Saxon context: institutionalization and spread
- British stream
- American stream
- In French context: hesitation between adoption and rejection and the conceptual mixture

- Applied linguistics : diversification and development
- A summarize

يفرض تحرّي الدّقة العلمية تتبّع المسار التاريخي للسانيات التطبيقية نشأة وتطورا، مما يوجب علينا الوقوف عند المحطات الكبرى، والتي يمكن اعتبارها مفصلية فيما وصل إليه هذا التخصص، لأن فهم السياق التاريخي وملابساته يعيننا على الوعي بأهم إشكالاته، ومقاصده وغاياته، ومن ثمة إدراك المنحى الذي سلكته اللسانيات التطبيقية في التعامل مع الظاهرة اللغوية بوصفها نشاطا إنسانيا تعْتريه المعوّقات والعراقيل التي تتطلب التدخل، واقتراح المخارج الصحيحة لتجاوز ما قد يحدث من أزمات على مستوى التواصل.

تأسيسا على هذا التقديم تقترح هذه الورقة تعاملا تاريخيا إبستيميا، مستندا على السياقات العلمية التي لابست إشكالية النشأة بالنسبة للسانيات التطبيقية، مراعية في ذلك الفضاءات الجغرافية التي نما وترعرع فيها هذا الحقل المعرفي مصطلحا ومفهوما وموضوعات، وكذا دواعي التشعب والتفرع المصاحبة لفعل التطور، محاولين الوعي بمساره التراكمي الذي أوصله إلى ما هو عليه في نهاية العقد الثاني من الألفية الثالثة.

**2- في السياق الجرماني: الولادة والاحتضان.**

مما شاع بين الدارسين، وخاصة العرب، أن البيئة الأمريكية هي الحاضنة الأولى للدراسات اللسانية التطبيقية، وأن المصطلح الموضوع عنوانا للعلم ملكية فكرية أمريكية بامتياز، ونحن نرى أن في هذا مجانبة للصواب، وخلط ما بين مأسسة(Institutionnalisation) اللسانيات التطبيقية بوصفها تخصصا علميا، واستخدامات المصطلح قبل دخوله المؤسسات الأكاديمية، أي أنه علينا أن نؤرخ له من بدء توظيفه في الأبحاث والدراسات العلمية الأكاديمية التي ظهر فيها، والسياق الذي احتضنه.

فقد وظف أحد الدارسين الألمان واسمه هيرت(H.Hirt)، مصطلح اللسانيات التطبيقية*(angewandte sprachwissenschaft)*، بمفهوم وظائفي قريب مما هو متداول حاليا في ثنايا حديثه عن ضرورة التوجه إلى استثمار نتائج اللسانيات في إنارة البنية الأثنولوجية لعصور ما قبل التاريخ، وكان ذلك سنة1898[1]. ولكن كان على الدارسين الانتظار حتى سنة1931 ليعاود المصطلح الظهور، ووفق زاوية تناول أكثر نضجا من لدن مهندس ومعجمي نمساوي آخر يعرف باسم يوجين ووستر(Eugen Wuster 1898-1977)، ويورد صاحب الدراسة المحال عليها هنا، والذي اعتبر السنة المذكورة سنة مفصلية بالنسبة إلى اللسانيات التطبيقية متخذا من جملة من الاقتباسات استقاها من عدد من الدارسين برهانا على دعواه، ومنها ما ساقه أحدهم في عرضه لكتاب ووستر الذي ورد فيه المصطلح، ولم يخف اندهاشه من الاكتشاف الذي أنجزه هذا الأخير، وقد ذهب إلى حد التشكيك في المنجز المتعارف عليه بين الباحثين، من خلال دعوته إلى نسبة المصطلح إلى صاحبه الحقيقي[2].

كما ساق الدارس تصريحات ووستر في أعماله اللاحقة بكونه أول من وظّف المصطلح في كتابه الصادر سنة 1931بدءا من الفقرة الأولى لمدخل الكتاب، وذلك في معرض حديثه عن وجوب تسلّح الباحث اللساني بالمعرفة التقنية مثلما على المهندس اكتساب المعارف اللسانية. وقد حرص ووستر على مدار الطبعات المتتالية للكتاب على التأكيد على أنه واضع المصطلح وخاصة في طبعة سنة1974، والتي يقول فيها: إنه ليس من المصادفة أن يظهر تعبير اللسانيات التطبيقية لأول مرة في سنة1931في الكتاب الذي جمعْنا فيه المواد والمرتكزات الأولى لنظرية عامة في المصطلحية[3].

فهذه الإضاءة تشير إشارة واضحة إلى أن منشأ المصطلح ألماني وخاصة مع توفّر نسخ الطبعة الأولى من الكتاب بوصفها دليلا ماديا لا يمكن نكرانه، وتوظيف المصطلح بالمفهوم المتداول حاليا في حقل الدراسات المصطلحية، والتي ما زالت إلى يوم الناس هذا من الميادين المفضلة للسانيات التطبيقية، بل وتعد من كلاسيكيات البحث اللساني التطبيقي، وهو الأمر الذي حدا بدارسيْن آخرَيْن إلى التصريح في معرض حديثهما عن الدور الذي أداه ووستر في ميادين علمية مختلفة، منها اللسانيات التطبيقية، أنه يجب الاعتراف، ونحن بصدد الحديث عن التأثير الإبستيمي لووستر من خلال كتابه العمدة الذي عمل فيه على التحضير ومن ثمة التأسيس للسانيات التطبيقية[4] .

وفي مقتطف من مجلة فيينا*(Wiener Zeitung)* يعود إلى 30جوان1973 يذكّر ببروز مصطلح لسانيات تطبيقية كما رسم معالمه ووستر، في مبحث خاص يدور حول التعليم التطبيقي للغة بصيغة *(angewandte sprachlehre)*، قبل هذا التاريخ، وبالتحديد سنة1925 لدى باحث نمساوي هو تيودور ستيش(Theodor steche)، والذي حلّ محلّه مصطلح لسانيات تطبيقية*(angewandte sprachwissenschaft)*، ليتتابع بعدها استخدامه في كتابات ناطقة بالألمانية في ثلاثينيات وخمسينيات القرن الماضي[5]. مما يعطي الانطباع على أنها ممارسة مقصودة وليست عابرة في التوليد المصطلحي، وفي الاستخدام الواعي له في الفضاء الناطق بالألمانية، بعقود قبل تداوله الأنجلوساكسوني، وعلى أنه قد سبقت ظهوره العلني أعمال ممهّدة استثمرها ووستر في إخراجه إلى حيز الوجود. ولكن الذي أدى إلى عدم شيوع أعمال ووستر، وسبقه العلمي، أنّ أغلب أعماله لم تترجم إلى اللغات الرائجة كالإنجليزية والفرنسية، ومن ثمّة لم يطّلع عليها غير الناطقين بالألمانية[6].

ومما ينبغي تسجيله ههنا أن اللسانيات التطبيقية عُرفت في الفضاء الجرماني بطابعها المعياري خلال العهد المشار إليه آنفا، قبل أن تنفتح على المساعدة في تيسير التواصل في البيئة الأنجلوساكسونية، وهو الأمر الذي حدا بووستر إلى إبداء ملاحظته في أعمال لاحقة أن التقييس المصطلحي لم يسجل دخوله إلى مدونات الجمعية الدولية للسانيات التطبيقية(A.I.L.A) إلا متأخرا، كما ذكّر بإسهامات اللسانيات التطبيقية في أشغال إصلاح الكتابة(Orthographe) من خلال لجنة المصطلحية للمنظمة الدولية للتقييس (ISO) ومنظمة (Infoterm) والجمعية الدولية(A.I.L.A)[7].

ولكن علينا ونحن نسجل السبق الفكري الألماني فيما يخصّ المصطلح، وضعا وتوظيفا لأول مرة في نهاية القرن التاسع عشر، أن نقرّ بما توافر لدينا من معطيات أن ثاني استخدام له لفظا ومفهوما قريبا بما استقر عليه حاليا، ولم نجد له ذكرا في الوثائق المؤرِّخة لتطور استعمال اللفظ من الدلالة العامة إلى الدلالة الاصطلاحية في الأدبيات الغربية، كان من لدن الأنثروبولجي الفرنسي ليون أزولاي (Léon Azoulay)، وكان ذلك في مقال له نشره في دورية للجمعية الأنثربولوجية بباريس سنة 1903، بعنوان: **اللسانيات التطبيقية: الاختبار اللغوي بوصفه وسيلة لتحديد هوية الأفراد الخاضعين للبحث العلمي***، والذي يصرح في بدايته: إنه قرّر أن يستخدم اللسانيات وسيلة اختبار في عمل ميداني يقوم على تعريض مجموعة من المبحوثين الأفارقة(من غانا) لهذا الاختبار بغية معرفة إثنياتهم، وانتماءاتهم الجغرافية، عبر الفُوَيرِقات الصوتية التي تظهر لديهم في لحن القول[8]، وكما هو ملاحظ فإن هذا العمل أنثربولوجي، ويمكن إدراجه ضمن اللسانيات الجغرافية والتي هي من التخصصات الفرعية للسانيات التطبيقية حاليا. أي أن الاستخدام الثاني للمصطلح تم قبل أن يظهر كتاب النمساوي ووستر المشار إليه بحوالي ثمان وعشرين سنة.

**3- في السياق الأنجلوساكسوني: المأسسة والانتشار:** يذهب أغلب من أرخ للسانيات التطبيقية إلى التفريق داخل الفضاء الأنجلوساكسوني بين تيارين أحدهما بريطاني، والثاني أمريكي، وأنه لكل منهما غاياته، وأدواته المنهجية، وأساليبه في الممارسة، وتصوره العام الذي قد لا يتقاطع مع ما لدى نظرائه في الفريق الآخر، ومن ذلك مثلا التفريق ما بين اللسانيات التطبيقية(Applied Linguistics) في التقليد البريطاني، والتطبيقات اللسانية(Linguistics applied) في التقليد الأمريكي، وقد أُرجِع هذا التفريق في جزء منه إلى المكانة التي يحتلها تعليم اللغات لدى البريطانيين، والتي تفوق نظيرتها عند الأمريكان، نظرا لكون أغلب اللسانيين التطبيقيين البريطانيين هم معلمو لغة إنجليزية، بوصفها لغة أجنبية في المقام الأول. كما أنّ هذه الرؤية وهذا التصور العام قد سمحا للبريطانيين بتشكيل تصميم للسانيات التطبيقية يشْغَل فيه تعليم اللغات الثواني والأجنبية موقعا مركزيا، ويحتل فيه التجديد المنهجي لطرائق التعليم ومناهجه مكانة معتبرة[9].

وقد كان تطور التيارين موضوعا لانطباعات وآراء متنوعة، فالتيار البريطاني نُعت بالوصفي، وأصحابه متأثرون بالنظريات الفيريثية(Firthiennes) المتمركزة حول الكلام ويشتركون جميعا في المقاربة الاجتماعية للغة، أمّا التيار الأمريكي فكان لسانيا صرفا، ويمثله البلومفيلديون(Bloomfieldiens) المتأثرون بالنظريات السلوكية. كما يكادون يجمعون على أن تطور التيارين لم يكن لا متوزايا ولا خطيا، بل وذهب البعض منهم إلى التأسيس لتقاطعات بينهما واندماجات، وصلت بفريق من الدارسين إلى إثبات وجود حركات تجمَع لسانِيين من التيارين[10].

والشاهد في ذلك أن كوردر قد تُلُقِفت دراساته التقابلية وأبحاثه في تحليل أخطاء متعلمي اللغات الأجنبية، وتمّ احتضانها، في الولايات المتحدة، بكيفية أفضل مما في بريطانيا، ومن ثمّة فإن

هذا التصنيف يبقى نسبيا، ولا يمكن تعميمه، وكأنه قاعدة مطلقة تنسحب على الجميع، فالتوجهات العلمية تعلو فوق الأوطان، وتنفلت عن التقييد والتنميط، وما يقدّمه الدّارسون من محاولات حصر وتعيين يبقى مجرد عزل منهجي الغرض منه تسهيل الدراسة، وتقريب المعارف إلى المتلقي لا غير، ومحاولة اجتهاد القصد منها تلمُّس القواسم المشتركة التي يمكن من خلالها حصر وضبط توجُّه بعينه يجمع ما يمكن جمعه من السمات التي تقرِّب بين أفراد تيار ما، وتؤطر أبحاثهم.

**3-1- التيار البريطاني:** يعود استثمار النظريات العلمية في الدراسات التطبيقية حول اللغة في التقليد البريطاني إلى عصر النهضة في أوربا، إن نحن توخينا الدقة التاريخية والعلمية، ولكننا سنتجاوز هذا الإطار الزمني، ونختصر مسافته في نهاية القرن التاسع عشر. والتي يُعزَى فيها إلى هنري سويت( Henry Sweet1845-1912)دور محوري من خلال دراسته التطبيقية على اللغة( Pratical study of language)، التي أصدرها سنة 1894. والتي تعد بمثابة إصلاح للممارسة التعليمية للغات، من خلال العمل على تقويض المبادئ التي كان يقوم عليها تعليم اللغات، نظرا لكثرة الثغرات والعيوب التي شابتها، ولنا أن نجملها.

1- ارتكاز تعليم اللغات على التلقين والتحفيظ لقوائم طويلة من المفردات.
2- إيلاء الأهمية القصوى لقواعد نحوية غير مستعملة في التوظيف اللغوي.
3- إنتاج ترجمات أدبية لا تجدي نفعا في الممارسة الشفوية للغات.

وكان البديل الذي اقترحه سويت لإصلاح تعليم اللغات يتأسّس على المبادئ الآتية:

1- أولوية اللغة المنطوقة وتعليم الأصوات.
2- ارتكاز منهجية التعليم على الممارسة الشفوية.
3- مركزية النص في العملية التعليمية[11].

وبذلك يكون من الداعين إلى إحداث القطيعة مع الممارسات التعليمية السائدة، وتأسيس مناهج تعليمية وفق رؤية تطبيقية تستند إلى النظر في طبيعة اللغة، وتفحُّص طرائق اشتغالها، ويُحترم فيها التدرج الطبيعي للاكتساب والتعلم. وبهذا الطرح يكون قد سبق الكثير من اللسانيين التطبيقيين والمشتغلين بقضايا تعليم اللغات الذين جاؤوا من بعده برفضه لطريقة القواعد والترجمة، التي بقيت تحتفظ ببريقها وبعض وهَجها إلى نهاية النصف الأول من القرن العشرين، وبدعوته إلى تقديم المنطوق على المكتوب في العملية التعليمية، يكون قد سبق حتى سوسير نفسه الذي أعاد الاعتبار للمنطوق. وقد نذهب بعيدا في الحديث عن سبقه العلمي، إن نحن عرّجنا على دعوته إلى مركزية النص في العملية التعليمية، والتي هي من أحدث مناهج تعليم اللغات، المتبناة حاليا في أغلب دول العالم، فيما يسمى بالمقاربات النصية. والمستوحاة من النظرية البنائية(Théorie constructiviste)لجون بياجيه(Jean Piaget). فلهذه الأسباب وغيرها اعتبرت أعمال سويت مشروعا لسانيا تطبيقيا إصلاحيا لتعليم اللغات، وأرضية ممهّدة للدرس اللساني التطبيقي لدى متابعي أعماله، كما سنرى مع فيرث

وهاليداي. لقد جاءت الدَّفعة الثانية المكمّلة لما بدأه هنري سويت في ترقية التطبيقات اللسانية تنظيرا وممارسة في بريطانيا من لدن واحد يعتبر من أشد المعجبين بإسهامات سويت في ميدان البحث اللساني، إذ إنه كان يستحسن ربط اسمه بهذا الأخير. إنه فيرث( Firth 1890-1960)، المتابع للمسار البحثي الذي سلكه سلفه، ومطوّرا له، ونجيز لأنفسنا أن نحوصل منجزه العلمي كله تحت مسمى اللسانيات الوصفية.

اتخذ فيرث من" التطبيق" مصطلحا مفتاحيا في الدراسات التي أنجزها في ميداني الصوتيات ومسائل الكتابة. والتطبيق عنده يشمل التهيئة والتكييف والفعالية، وهو يرى في توجهه العلمي هذا أنه لا يمكن تصور التطبيق بمعزل عن النظرية المؤطِّرة بوصفها التأسيس العلمي الذي تكتمل به شرعية الممارسة. ففي بحث له موسوم بتطبيقات اللسانيات العامة ( Applications of general linguistics) سنة1957 يعرف فيرث اللسانيات الوصفية بكونها عنصرا من العناصر المشكلة للسانيات العامة، وأنها تطبيق لنظرية اللغة في وصف اللغات الخاصة(Restricted languages)، وهو بهذا يكون قد انخرط في النقاشات التي دارت حول اللسانيات التطبيقية، التي عرفت المأسسة في الولايات المتحدة الأمريكية منذ أربعينيات القرن العشرين، مبديا اعتراضه على البلومفيلديين الذين طبقوا مناهج مستوردة من تخصصات أخرى غير اللسانيات. فقد أعرب عن أسفه لإقدام اللسانيين على تطبيق مناهج البيداغوجيا(وهي في نظره لا تخرج عن المناهج المستوردة من المنطق، والبلاغة والفلسفة، وعلم النفس)[12] في هذا الحقل المعرفي.

وإن اعتراض فيرث لا يعني رفض تطبيق النظريات والمناهج غير اللسانية في تعليم اللغات، بل هو يدعو إلى أن يُعكَس الاتجاه، وذلك بأن لا تهيمن البيداغوجيا على اللسانيات، بل الواجب في نظره هيمنة هذه الأخيرة على البيداغوجيا، لأن النظرية اللسانية طُوِّرت بما فيه الكفاية وامتلكت من الاستقلالية ما يؤهلها لصلاحية التطبيق على المشاكل اللسانية للغات[13].

ويترادف مفهوم التطبيق عند فيرث مع مفهوم الوصف اللساني انطلاقا من كونه أحد واجهات اللسانيات العامة، ولأنه تطبيق لنظرية اللغة. ومن ثمة يصير غرض اللسانيات الوصفية تحليل معاني المصطلحات اللسانية الصِّرف كالبنيات والأنساق في مختلف مستوياتها(الأصوات ووظائفها، النحو، المعجم، الأسلوب، السياق) شريطة ألا تنبني المقاربة على الثنائيات، في مخالفة صريحة لسوسير وأنصاره[14].

ويذهب فيرث في مقاربته إلى أنه بالنسبة للغات واسعة الانتشار كالإنجليزية ينبغي أن يتجّه تطبيق الوصف اللساني إلى اللغات الخاصة، مثل لغات التخصص في العلوم والتقنية والرياضية والدعاية السياسية، ويتسع عنده التطبيق ليصل إلى لغة الشعروالنصوص النثرية الأدبية، والترجمة، ووضع قواعد لمختلف تنوّعات اللغة الإنجليزية، ويصل المدّ حتى النحو التعليمي[15]. يحضر الغرض الإجرائي النفعي في أبحاث فيرث، كما لدى سلفه سويت، في وصف لغات الإمبراطورية البريطانية

مكتوبة كانت أم منطوقة، وهو انشغال لازَم الدراسات اللغوية البريطانية بدءا من الثلث الأخير من القرن التاسع عشر. ونشير هنا إلى أن وفاته سنة1960 قد تزامنت مع ما عرف في الأدبيات البريطانية بسنة إفريقيا(the year of Africa) نتيجة انتشار موجة تصفية الاستعمار في القارة الإفريقية في السنة نفسها. وقد نجم عن موجة التحرّر هذه حاجة ملحة، الغرض منها ترقية طرائق ومناهج تعليم اللغة الإنجليزية بوصفها لغة أجنبية أو ثانية في المستعمرات القديمة، ومن ثمة اتُّخِذ من مسألة اللغات الخاصة الذي انبنت عليه أبحاث فيرث تحليلا وتفكيكا موضوعا لأشغال مؤتمرات المجلس البريطاني(British Council) ومنظمة الكومنولث(Commonwealth)، ومَنْ عُرفوا فيما بعد بالفيرثيين الجدد(Neo-firthiens)[16].

إن قراءة عجلى في الإسهام الفيرثي تؤكد أن ما غاب في القضايا المطروحة هو المصطلح الصريح "Applied linguistics"، فالتطبيق والوصف اللساني بالفهم الذي قدمه لهما فيرث يصيران من الجهاز الواصف لهذا الحقل المعرفي، كما أن الموضوعات التي تناولها بالدراسة تدخل ضمن دائرة اللسانيات التطبيقية، إضافة إلى حضور البعد النفعي بصورة جلية في الأبحاث المنجزة، وكذا الحديث عن المشاكل اللسانية للغات، وعن التهيئة والتكييف والنجاعة، وربما يعود تحفظه على المصطلح إلى الاعتراض على إقحام المناهج المستوردة من التخصصات الأخرى في الميدان اللساني، وهو يرى أن اللسانيات تمتلك الأهلية والقدرة على توصيف قضاياها، وحل مشاكلها بنفسها، وليست بحاجة إلى الاستعانة بمناهج ولغة واصفة من خارجها، أي أنها تعالج نفسها بنفسها، وفي هذا مخالفة لما عُرف عن التيار الأمريكي من انفتاح نحو أفاق أرحب، والذي تكرّس فيما بعد في سائر الممارسات اللسانية التطبيقية بوصفه حقلا بينيا(Interdisciplinaire).

وممن يذكر لهم الإسهام في اكتمال المنجز اللساني التطبيقي في المملكة المتحدة، وبلوغه مرحلة النضج والمأسسة، واسمه لا يكاد يُفصَل عن جامعة أدنبرة ومدرستها الشهيرة في اللسانيات التطبيقية، والتي يؤرِّخ بها الدارسون لهذا الميدان بوصفها ثاني محطة هامة في مأسستها سنة1957، هو كوردر، فقد التحق بها منذ 1956. وعمل على التعريف باللسانيات التطبيقية، ومجالاتها، وتمظهرات التطبيق فيها، ومراحله، وكيفية ممارسته، وأهميته، وغيرها من القضايا المرتبطة بهذا الميدان، وبنشره لمقاله المرجع "حول أخطاء المتعلمين*" سنة 1967يكون قد اتجه وبعمق إلى تعديل موقف اللسانيات التطبيقية من تعليم اللغات[17].

فقد مثّل المقال المذكور عند باحثي شمال أمريكا، علامة فارقة في التأسيس لما أضحى ينعت باكتساب اللغة الثانية(SLA) *، والمعروف عندهم بكونه ميدانا فرعيا من ميادين اللسانيات التطبيقية، وكانت غايتهم بعد أن أرسى كوردر معالمه الكبرى الوصول به إلى أكبر قدر من العلمية، التي افتقدوها – حسب زعمهم- في الأبحاث ذات الطابع المنهجي، ومن ثمة وقع ما عُرف فيما بعد بالتحول في مركز الاستقطاب، إذا لم يعد الاهتمام منصبا على التعليم على أنه أولوية، بل انزاحت

الدراسات نحو عمليات الاكتساب اللغوي، وقد وقع ذلك بتأثير من أبحاث تشومسكي(Noam Chomsky)، ونظريته التي طلع بها على العالم في النحو التوليدي التحويلي[18]، وما صاحبها من ثورة معرفية، وتحويرات كبيرة مست الجهازين المصطلحي والمعرفي، والأبعاد الإبستيمية في حقل اللسانيات عامة. على الرغم من أن تشومسكي قد فاجأ العالَم اللساني بتصريح مؤداه: إن اللسانيات ليس لها ما تقدمه لتعليم اللغات[19]. والذي كذَّبته الوقائع فيما بعد، بل وحتى مبادئ نظريته أضحت محل ممارسات تطبيقية في حقل تعليمية اللغات. ومما يلفت الانتباه هو أن أبحاث كوردر لم يتمَّ تلقيها بالصورة الأفضل لدى نظرائه في المملكة المتحدة، على خلاف ما عوملت به في شمال أمريكا، ويرجع ذلك إلى تقريراته التي كان يطرحها والمنبنية على عدم تبني الصرامة العلمية في قضايا تعليم اللغات الثواني(Langues secondes)[20]. ومما يمكن التوصل إليه كذلك في مسألة اختلاف تلقي كوردر فيما بين ضفتي الأطلسي، بل وداخل الفضاء الأنجلوساكسوني نفسه أنه أَمَارة على الانقسام الذي يشهده هذا التخصص الفرعي، والذي هو سمة عامة في اللسانيات التطبيقية بكل مجالاتها.

ثم إن هيمنة اللسانيات الوصفية في البحث اللساني البريطاني، طبع أبحاث تعليم اللغات بصرامة يصعب مسايرتها، وخصوصا مع التوجه الذي تبناه كوردر في أبحاثه، بأن أخذت وجهة التركيز على الاكتساب، وما يرافقه من مقاربة لعمليات إنتاج وفهم الكلام، والتفسيرات العقلية والنفسية التي تتدخل فيها، وهي أمور يأباها الوصف اللساني المهمين ضمن ما يعرف باللسانيات البنوية، وتتنافى مع المبادئ التي يقوم عليها، والمرتكزة على الملاحظة. في حين كانت أمريكا تشهد في هذه الفترة التاريخية حالة صعود لنجم الاتجاه المعرفي الذي بدأت بوادره في التجلي مع لمعان نجم تشومسكي. مما جعل تلقيه على الضفة الأخرى أفضل مما في بلده الأم.

ويمثل ماك هاليداي(M.A.K Halliday:1924-2018) مع مجموعة من رفاقه الذين شاركوه الهمَّ البحثي نفسه، من أمثال: بيتر ستيرفز (Peter Strevens) وأنجيس ماك انتوش(Angus McIntosh) محطة مفصلية في تاريخ تطور اللسانيات التطبيقية، لأنها تمثل مرحلة اكتمال مأسسة اللسانيات التطبيقية بريطانيًّا وأوروبيّا ودوليّا، وبلوغها ذروة النضج والرقي المصطلحي والمفاهيمي، إذ يرجع الدارسون انكباب اللسانيين البريطانيين على موضوعاتها، وعلى الأخص تعميم تعليم الإنجليزية ونشره إلى فترة تصفية الاستعمار بدءا من أربعينيات القرن العشرين إلى الستينيات منه، فقد بحثوا عن الشرعية النظرية التي تؤطر أبحاثهم بعد تأسيس مدرسة اللسانيات التطبيقية (School of applied linguistics.) بجامعة أدنبرة سنة 1957[21] . وانخرط هاليداي، المنتمي إلى من يعرفون بالفيرثيين الجدد، في مدرسة أدنبرة أستاذا للسانيات العامة سنة1958[22]. وقد تركزت جهود هاليداي في تجلية العلاقة القائمة بين اللسانيات العامة واللسانيات التطبيقية، حيث كان يري أن توظيف النظريات في التطبيقات الميدانية، هو تحيين لها، وتثمين لمكانة اللسانيات التطبيقية ضمن علوم اللغة(Linguistic sciences)، وقد تأسست رؤيته هاته وفق زاوية نظر مؤداها: أن وصف لغة ما يعود

إلى النظرية اللسانية، وليس إلى تطبيقات اللسانيات، ومن ثمة رأى حصر العلاقة ما بين النظرية اللسانية ووصف اللغات في الاستخدام(Use)، الذي كان يفضله على لفظ التطبيق(Apply)، وأنه لا يمكن الحديث عن اللسانيات التطبيقية إلا عندما ينجز الوصف، وحينما تُسْقَط التطبيقات على غرض لاحق يقع خارج علوم اللغة[23]. ومن آرائه في الموضوع أن الدفع بالتطبيقات إلى ميدان الممارسة اللسانية معناه الارتقاء باللسانيات إلى مصاف العلوم، زيادة على أنه سدٌّ لواجب اجتماعي ذي منفعة عامة، على ما في هذا الدور المحتمل للتطبيقات من فضل في تحقيق التغذية الراجعة(feedback) للنظرية، إذ إنها- التطبيقات- تدفع العلوم إلى أن تكون عرضة للتطوير، بوساطة تصحيح مساراتها، وسد الثغرات الحاصلة لحظة التنظير، وهو من المؤكّدين على انعدام الفجوة ما بين النظري البحت والتطبيقي في اللسانيات[24].

وقد خالف هاليداي فيرث في نقده لإقحام المناهج المستوردة من تخصصات أخرى في الحقل اللساني، فلم ير مانعا في تضمّن اللسانيات التطبيقية لمجالات كالترجمة الآلية التي تستلزم ولوج مختصين من ميادين أخرى كالرياضيات والمعلوميات، وفي هذا انفتاح منه ومسايرة للتطورات التكنولوجية، وقد كان يرى أن دور اللساني في مجال تعليم اللغات هو تقديم توصيفات جيدة للغات يمكن للمعلمين أن يستثمروها في أداء مهامهم التعليمية[25].

ولا غرابة في أن نجد له انفتاحا على مواضيع، ومجالات تبدو ظاهريا خارج دائرة البحث اللساني، كالمعالجة الآلية للغات وحوسبتها، فقد كان من المشتغلين على هذا الموضوع واشترك في دراسات وأبحاث مع ماك إنتوش اللساني المختص في المعلوميات، الذي ما زالت بعض أنظمة تشغيل الحواسيب تحمل اسمه.

ونلحظ أيضا أن هاليداي بمعية من شاركوه أبحاثه قد استخدموا مصطلح سجلات(Registres) بوصفه نسخة معدلة ومعاد صياغتها عن المصطلح الفيرثي "لغات خاصة"، وذلك في معرض حديثه عن ترقية مفهوم التطبيق في تعليم اللغات، وفي أساليب الكتابة لأغراض تقديم المداخلات العلمية، والتجارية أو الصناعية. وكان يرى أنه من غير المفيد مقاربة اللغة في كليتها، أو في دراسة أدبها، بل يجب استخدام لغات متخصصة وخاصة[26]. ما نخرج به بعد هذه الوقفة مع التيار البريطاني، هو أنه بدءا من الأعمال الممهدة التي أنجزها سويت، مرورا إلى فيرث الذي عايش المرحلة الأولى لمأسسة اللسانيات التطبيقية، وصولا إلى هاليداي الذي كان أحد الذين أسهموا ورفاقه من الفيرثيين الجدد في مأسستها داخل الفضاء الدولي والأوربي، نخلص إلى أن كلا من فيرث وهاليداي كانت لهما نظرة نقدية تجاه المنجز اللساني التطبيقي، فقد كان فيرث يرى أن مدرسة أدنبرة لا يمكن لها الادّعاء بتكوين نظري في اللسانيات[27].

أما هاليداي فقد كان يتساءل دوما عن مدى صحة هذا التجميع بوصفه تخصصا مستقلا لتطبيقات اللسانيات. إذ أعلن عن مفهوم دينامي للسانيات التطبيقية، في ورقة بحثية، حملت عنوان:

اللسانيات التطبيقية موضوع في تطور*، إذ ذهب إلى أن اللسانيات التطبيقية في لحظة تاريخية معينة قد تشكلت من تجميع ظرفي لميادين متنوعة، ومع مرور الزمن اتجهت تلك الميادين نحو الاستقلالية، وبالأخص: الأرطفونيا، والترجمة وتعليم اللغات، ويمكن أن نضيف إليها المعالجة الآلية للغات. فقد استقلت هذه التخصصات عن اللسانيات التطبيقية منذ ستينيات القرن الماضي. وعملت على أن يكون لها مؤتمراتها الخاصة، وكذا دورياتها العلمية، وتسجيلاتها الجامعية، ومِنَحُها ومصادر تمويلها، مما أكسبها احتراما أكاديميا[28].

وكان هاليداي يذكّر في كل مرة، بأن اللسانيات التطبيقية كالرياضيات التطبيقية تماما ليست تخصصا، لأن التخصص يعرّف بوصفه مجموعة من المبادئ والمناهج الموجّهة إلى استكشاف وتفسير موضوع جد مخصوص، في حين أن اللسانيات التطبيقية تقوم باستخدام نتائج اللسانيات النظرية لأغراض أخرى ليس منها دراسة اللغة، وكان يقرر في كل مرة أن تقديما كهذا يؤسِّس لفصل صارم جدا ما بين اللسانيات النظرية واللسانيات التطبيقية، وفيه اختزال للمسألة، فيصعّب أحيانا رسم الخط المشترك عند الاشتغال على اللغة. ولهذا اقترح أن ينظر إلى اللسانيات العامة على أنها اشتغال على اللغة بوصفها غرضا للدراسة، وأن اللسانيات التطبيقية اشتغال على اللغة بوصفها موضوعا للدراسة[29].وعلى الرغم من نفي هاليداي صفة التخصص القائم بذاته عن اللسانيات التطبيقية، فإنه قد تقاسم مع نظرائه الفكرة الشائعة والمقبولة من الجميع، وهي أنه ومنذ ستينيات القرن الماضي أضحت اللسانيات التطبيقية مؤسسة متكفِّلة بمعالجة المشاكل الحقيقية المرتبطة بلغات العالم( Real-world language-based problems)[30].

إن هاليداي على الرغم من إسهامه في مأسسة اللسانيات التطبيقية على مختلف الأصعدة، والهيئات العلمية التي انتمى إليها، إلا أنه أبدى تحفُّظه على كون اللسانيات التطبيقية تخصّصا قائما بذاته، لجملة الأسباب التي قدمها في طروحاته المشار إليها آنفا، وربما هذا ما يفسِّر اتجاهه إلى الدراسات اللسانية النصية التي عُدَّ أحد روادها العالميين، إضافة – في اعتقادنا- إلى كونه شغل كرسي اللسانيات العامة في مدرسه أدنبرة، وبالتالي بقي وفيا لخلفيته المرجعية، وللكرسي الذي يشغله، فلم ير موجبا الإسهام في الانشطار الذي عرفته العلوم اللسانية، فالنظري والتطبيقي وجهان لعملة واحدة، بالنسبة إليه ولذا كان يحبذ الحديث عن استخدامات اللسانيات ويفضله على تطبيقات اللسانيات.

**2-3- التيار الأمريكي:** لأجل فهم السبق الأمريكي في مأسسة اللسانيات التطبيقية، في أربعينيات القرن العشرين، علينا أولا الإلمام بالظروف والملابسات التي شابت المجتمع الأمريكي سوسيو-لسانيا، والتحولات الكبرى التي شهدها، في حالة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وبذلك يتسنى لنا الوعي بالتحديات الكبرى التي كان على اللسانيات في شقها التطبيقي التصدي لها.

لم يتفطن الأمريكيون لعقم استراتيجياتهم أثناء الحرب العالمية الثانية إلا بعد الهجوم الياباني على قاعدة بيرل هاربور(Pearl Harbour) في هاواي(Hawaï)، سنة1941إذا كان بالإمكان تفادي الهجوم أو الكثير من تبعاته، لو كان للجنود أدنى دراية باللغات الأجنبية. وعليه عهد إلى ليونارد بلومفيلد(Leonard Bloomfield :1887-1949)إعداد برنامج مكثف لتعليم اللغات الحية، بإشراف وتمويل من الجيش الأمريكي، ومن ثَمَّ قام بوضع دليل(Guide)، سنة1942أضحى واحدا من أهم المصادر لتعليم اللغات لدى الدراسين، على الرغم من أن بلومفيلد كان يلحّ دوما على أن الأمر لا يتعلق بطريقة بعينها، وإنما بكل بساطة تعليمات عامة قوامها: أن التعلّم ينبني على الاستماع، والتكرار والحفظ للحوارات المعدّة انطلاقا من مواقف حياتية تتكرر في اليومي، وقد صاحَب هذا الدليلَ الموجَّه إلى اللسانيين الذين عليهم وصف اللغات التي لا تمتلك نظاما كتابيا كاللغات الهندو-أمريكية ملحقٌ بنصائح منهجية لا تستند إلى أية قاعدة نظرية صريحة[31].

كما هو ملاحظ فإنّ العمل المنجز يدخل ضمن ما يمكن وسمه بالمجهود الحربي، لأنه عمل مكثّف يستهدف فئة مخصوصة، وغايته تكوين أكبر قدر ممكن من الأفراد وفي ظرف زمني قياسي، وهو عمل براغماتي محض، لم يتأسس على أية نظرية علمية، وإنما وضع لغاية سد العجز والخلل الظاهرين. كما أن الدليل الذي وضعه بلومفيلد حتى وإن لم يستند إلى نظرية علمية، فإن الاستلهام من المبادئ الكبرى التي قامت عليها النظرية السلوكية جليٌّ في التوجيهات العامة التي يطرحها (الاستماع، التكرار، الحفظ). ولكن هل بإمكاننا الحديث عن بداية تشكّل تيار لساني تطبيقي بقيادة بلومفيلد بفعل ارتكازه في المشروع الذي أعدّه على خصائص هي من صميم اللسانيات التطبيقية(البراغماتية، الفعالية، سرعة التدخل)؟.

على الرغم من انطلاق بلومفيلد في أعماله البحثية من انشغال مؤدّاه ضرورة إصلاح تعليم اللغات وخاصة الأجنبية في الولايات المتحدة الأمريكية، والذي حكم عليه بعدم الفعالية[32]، وهي رؤية ذات صلة بحل مشاكل اللغة في المجتمع الذي هو من صميم مهام اللساني التطبيقي، إلا أنه لم يُعثر في كتابات بلومفيلد على أية إشارة صريحة للسانيات التطبيقية. فالأمر بالنسبة إليه هو أنه توجد لسانيات ولسانيون يطبقون معارفهم التخصصية على حاجات اجتماعية مخصوصة كمسألة تعليم اللغات. فقد كان يعتقد بأهلية اللسانيات وحدها لتقديم خدمة قاعدية في سياق إصلاح تعليم اللغات، وأسهم بجهوده الميدانية في تهيئة التخصص بوصفه علما، وفي جعل التعليم غاية أكثر مما هو وسيلة، بوساطة نشره لدى جمهور عريض من غير المتخصصين[33].

ونجد في هذا الطرح تقاطعا مع أفكار فيرث الذي كان يرى الرأي نفسه، وهو أن اللسانيات تمتلك منفردة جهازا مفاهيميا واصفا مؤهَّلا لتقديم الحلول للمشاكل اللسانية، التي قد تعترض سبيل عملية التعليم. وظاهر للعيان اقتحام المفاهيم السلوكية للمقترحات المقدَّمة من قبله في هذا المجال، وإن كان بلومفيلد قد ادعى أنها منهجية ذات منحى عملي لا يرتكز على أيَّة نظرية علمية، وأنَّ ما أعدَّه

مجرد دليل عملي مُعِين لمعلمي اللغات. وفي هذا إقرار ضمني بضرورة تعاضد التخصّصات وتكاملها في مقاربة أية ظاهرة إنسانية، وخاصة إذا كانت على درجة كبيرة من التعقيد كاللغة البشرية، فأية إجابة تكون قاصرة إذا كان منشؤها تخصص واحد بمعزل عن بقية التخصصات، مثلما أن اشتغال كل تخصص منفردا قد يوصلنا إلى إجابات متشظية.

وكان يعتبر اللغة نشاطا إنسانيا أساسيا، وأنه من الضرورة بمكان الأخذ بالحسبان هذا العنصر لأجل وضع دراسة للإنسان يكون بمقدورها الإفلات من الحيوانية، التي تُلحظ آثارها في التوظيف المفاهيمي الخاص بعلم النفس التقليدي(العقل، الإرادة، الإثارة)[34] ، وهنا وجه المفارقة في نظرنا- على الأقل- فبلومفيلد في جل أعماله كان يستوحي طروحاته من علم النفس السلوكي، ولكنه كان منشغلا بالتأسيس العلمي لعلوم الإنسان، الذي استلهمه من فايس(Weiss)* لا من معاصره سكينر. مما تقدم يتوصل الدارس إلى أنه كان لزاما علينا أن نبحث عن التأسيس للسانيات تطبيقية معدة لغرض آخر غير مجرد التطبيق للسانيات، لأن بلومفيلد -وفي عبارة موجزة- لا يمكن أن تربط به سمة مأسسة(Institutionnalisation) هذا الحقل ولا مَخْصَصَته *(Disciplinarisation). وهما السمتان اللتان اكتملتا مع تشارلز فرايز(C. C. Fries: 1887- 1967)، والذي يعد شاهدا وفاعلا في تحقق الخاصيتين، فقد أوقف المرض المسار الأكاديمي لبلومفيلد سنة1946، وتخطّفه الموت سنة1949، ولم يعاين المنعطف الحاسم الذي سلكته اللسانيات التطبيقية[35].

لقد تخصّص فرايز في اللغة الإنجليزية، وقدم لها التوصيفات الأولى(1940) المؤسَّسة على المبادئ البنوية، فقد كان يشرف على فريق بحثي في جامعة مشيجان، وتركزت الأبحاث التي أنجزها أو أشرف على إدارتها على الإنجليزية المنطوقة، وعلى تعليمها في مدارس أمريكا، لمتعلمين ناطقين بالإسبانية، وتندرج ضمن سياسة لغوية مخصوصة، تستجيب لحاجات نوعية، تدخل ضمن ما عرف آنذاك بسياسة حسن الجوار[36]، وبغض النظر عن النوايا الكامنة خلف هذا التوجه، إلا أنه قد أنتج تراكما معرفيا في هذا الحقل المعرفي الناشئ، وأدى إلى قيام تخصص معرفي، واقتحامه مؤسسات ومراكز البحث العلمي، ونخص هنا بالذكر طريقته السمعية الشفوية، والتي بناها وفق أسس يمكن إجمالها في: ضرورة المقارنة الصارمة للغة المصدر(لغة المتعلم الأولى) باللغة الهدف(اللغة المستهدفة بالتعلم)، وهذه المهمة لا يمكن إنجازها إلا في إطار اللسانيات البنوية. وقد شكّك فرايز في صلاحية القواعد النحوية التقليدية وقدرتها على الاضطلاع بهذه المهمة لتمركزها حول المكتوب، ولذا حرص على الدعوة إلى تعزيز دور هذه اللسانيات الجديدة ذات الطابع الوصفي التي وَضَعت على رأس قائمة أولوياتها الاهتمام بالمنطوق[37].

وقد تطلبت الأبحاث الثرية التي أشرف عليها فرايز بجامعة مشيجان إنشاء مجلة تسمح بالنشر الواسع للأفكار التي يشتغل عليها الفريق البحثي الذي يديره. وكان تحقيق هذه الغاية وراء أول ذِكْر مؤسساتي لمصطلح لسانيات تطبيقية، كما هو متفق عليه بين عموم الدارسين، فقد برز المصطلح

بوصفه عنوانا فرعيا لمجلة تعليم اللغة*،سنة1948، وقد شاركه في هذا الإنجاز زميله روبرت لادو(Robert Lado)[38]. ولكن ما لا يجب إغفاله هو أن أول درس قدم تحت مسمى اللسانيات التطبيقية كان في سنة 1946 في هذه الجامعة[39]. وهو ما يمكن اعتباره اعترافا مؤسساتيا رسميا بالتخصص واستقلاليته، وقد أسهم هذا الاعتراف من دون شك بشكل فعّال في إطلاق المجلة المشار إليها، وإخراجها إلى حيز الوجود. ونرى أنه من الأهمية بمكان الوقوف عند المقال الافتتاحي الذي صدّر به فرايز مجلته الفتية، والذي حمل عنوانا مثيرا*، يظهر الغرض ويوضّحه، فالضمير العائد في العنوان أحيل به على اللسانيات التطبيقية، بوصفها تخصصا يكمن انشغاله الأساسي في تعريف المحتويات، ومبدأ التدرج في تقديمها، وطرائق تعليم الإنجليزية. ولم يكتف فرايز بالتأكيد على ضرورة الانطلاق من الوصف الصارم، وأن المقاربة التي هو بصدد تحديد معالمها تقوم على استخدام التطبيقات اللسانية العلمية وتقنياتها في تحليل ووصف اللغة، وفي اختيار المقاطع والمواد الأساسية، والتي هي بمثابة القلب منها( أي من المقاربة). وهو في عرضه للأسس والمبادئ المنهجية للطريقة السمعية- الشفوية، التي يدعو إليها يبدأ بأسس اختيار المادة المراد تعليمها. فهو يرى أن أنجع المواد وأكثرها فعالية هي تلك التي تنتج عن التحليل الوصفي العلمي للغة المراد تعلّمها، والذي يتم وفق مقارنة فائقة العناية، وتحليل وصفي مواز للغة المتعلم الأولى[40]، ويوصي فرايز بالممارسة المستمرة للغة الهدف والتكرار الدقيق بوصفهما أحسن وسيلة لتحقيق نجاعة التعليم/التعلّم. وأن التمكّن من اللغة بالوصول إلى إنتاج شفوي تلقائي، وسلس، لحظة تعرّض المتعلم لموقف كلامي ما، يمر عبر القدرة على توظيف القواعد البنوية الأساسية، ولو مع متن مفرداتي محدود. وقد كان فرايز ينطلق في تنظيراته من مسلمة مفادها: أنه لا يمكن فصل اللغة عن الثقافة، ومن ثمة على التعلم أن يخدم التواصل، ولأجل الوصول إلى هذا الغرض وتحقيقا للفعالية، ذهب إلى وجوب إدماج نتائج التحاليل والمقارنات في تمارين مركبة من ملفوظات كاملة تحقق التواصل اللساني الأساسي في مواقف اجتماعية حقيقية[41].

ويبدو أن رسالة فرايز في تشديده على ضرورة أن يصل التعلم إلى تمكين المتعلم من تحقيق التواصل في السياقات الفعلية، وكذا ربط اللغة بالثقافة في العملية التعليمية، لم تجد لها صدى في الممارسة الفعلية، إذ غدت التمارين البنوية التي دعا إلى توظيفها في تدعيم عملية التعليم وتقويته مجرد تدريب نمطي، وآلي، يطغى عليه التكرار، وأضحت التراكيب المتدرَّب عليها قوالب تخلو من أية ممارسة ثقافية، وهذه المآخذ هي لبّ الانتقادات الموجهة إلى طريقته السمعية الشفوية[42].

لقد سبق لنا معاينة أن الانبثاق المؤسساتي للسانيات التطبيقية يعود لفرايز وفريقه البحثي، ولمجلته الذائعة الصيت، إلا أننا لم نبارح معه كما مع معاصره بلومفيلد التقليد القديم ممثلا في التطبيقات اللسانية(linguistics applied)، إذ لم يُعثَر له على مقالات في مجلته تقيم نقاشا، أو تفكيرا منفتحا على مجالات بحثية أخرى يمكن أن يتمظهر فيها البعد التطبيقي للسانيات التطبيقية بوصفها

تخصصا محتمل الاستقلالية. إذ لم يغادر الطرح البنوي مع بعض الانعطاف على أهمية الثقافة والتواصل في تعليم اللغات. ومما لا ينبغي إغفاله ههنا أن مجلة تعليم اللغة التي أنشأها فرايز، قد غيّرت خطها الافتتاحي منذ سنة1992، فتحولت إلى مجلة البحث في الدارسات اللسانية*، كما أن الإحالة على اللسانيات التطبيقية التي كان يحملها عنوانها الفرعي، قد اختفت، وبذلك تكون قد عرفت انعطافا اجتماعيا، اختار من خلاله فريق التحرير تصورا جديدا عن اللغة منظورا إليها على أنها نسق مركب تكييفي(CAS)* وبهذا تكون قد مرت المجلة عبر مسارها التاريخي المعرفي بمحطات كبرى بداية بتبني اللسانيات البنوية، مرورا بالنحو التحويلي وصولا إلى محطة النظام التكييفي[43].

ولكن التساؤل الذي يفرض حضوره ههنا لِمَ لَمْ تغادر اللسانيات التطبيقية في مرحلة التأسيس والتطور في شقها الأمريكي مسائل ومشاكل التعليم والتعلم، ولم تندمج في بقية القضايا المجتمعية إلا بعد زمن ليس بالقصير؟. لقد سبق لنا وأن ألمحنا، إلى أن جهود اللسانيين الأمريكيين، وخاصة على عهد بلومفيلد انخرطت في مجهود مؤسساتي حربي أشرفت عليه المؤسسة العسكرية، وكذا مع فرايز الذي اندرجت أبحاثه ضمن سياسة لغوية عرفت بحسن الجوار، وكانت تستهدف النُّخَب الجنوب الأمريكية الإسبانوفونية. إنّ هذا السياق التاريخي لحالة تركز الجهود في ترقية وتعميم استعمال اللغات وتعليمها، نرى أنه تواصل فيما بعد الحرب العالمية الثانية، وبقيت الغايات العسكرية والسياسية مهيمنة على توجّهات الأبحاث اللسانية التطبيقية.

فكما هو معلوم فإن الولايات المتحدة الأمريكية خرجت من الحرب بوصفها المنتصر الوحيد، وعرفت قفزة نهضوية شملت كل ميادين الحياة، جعلت منها القوة الاقتصادية والعسكرية الأولى في العالم، ومن ثمة أصبحت الهجرة إليها حلما يراود كل المغامرين، ومن شتى أنحاء العالم، وقد أدى تدفق الهجرات المتتابعة ومن كل الإثنيات إلى نشوء فسيفساء بشرية، كان على المجتمع الأمريكي استيعابها وتحويلها إلى قوة فاعلة. وبما أن اللغة هي الفاعل الأساسي في تحقيق الاندماج، اتجهت أشغال الفرق البحثية، وخاصة في معهد تعليم اللغة الإنجليزية بجامعة مشيجان، الذي شهد أول مَأْسَسة رسمية للتخصّص، إلى البحث في أنجع السبل والطرائق العلمية التي تيسّر تعليم الإنجليزية للوافدين، وتمكّنهم من التحكم فيها في ظرف قياسي. وبالتالي يسهُل اندماجهم.

يضاف إلى ما سبق اشتداد أوار الحرب الباردة وما رافقه من تجسّس علمي وعسكري، يستدعي تجنيد الأفراد وتأهيلهم لهذه المهمّة، وخصوصا أن درس بيرل هاربور بقي ماثلا أمام أعين السلطات العسكرية والسياسية، ومن ثمة فإن هذا الخطأ لن يتكرر في قادم الأيام، وأول وسائل التجنيد هي اللغة المحقِّقة للاندماج في أي مجتمع يراد اختراقة، وغرس الجواسيس داخل منظوماته المختلفة، مما يفرض وضع برامج تعليمية تلبي هذا الطلب القومي، ومن ثَمّ البحث عن أنجع الطرائق والوسائل المحققة لهذه الغاية الاستراتيجية. وللتدليل على دعوانا هاته نسوق هذا المثال عن الاهتمام الرسمي بالتعليم والأسباب الأمنية الكامنة وراءه، إذ إن إطلاق الاتحاد السوفياتي سابقا، لبرنامجه الفضائي

سبوتنيك1(Spoutnik 1) في سنة 1957، كان كافيا لإحداث صدمة جماعية في أمريكا شبيهة بتلك التي نجمت عن هجوم بيرل هاربور، واعتبرته تحديا لها، مما دفع بمجلس الشيوخ الأمريكي إلى التصويت سنة1959 على قانون الدفاع الوطني حول التعليم، الذي رفع بعض العلوم وكذا تعليم اللغات الحية الأجنبية إلى مصاف القضايا التي تمَسُّ الأمن القومي. وأسهمت الحكومة الفيدرالية بشكل فاعل في تأسيس مركز اللسانيات التطبيقية بواشنطن، وفي تمويل مختلف برامجه وأنشطته البحثية[44]. وعليه فإننا نرى أن هذه دواع كافية لتسخير الجهود البحثية في مرحلة التأسيس للتخصص وتبئيرها في هذه الدائرة الضيقة، وما التراكم البحثي في هذا الميدان الفرعي من اللسانيات التطبيقية إلا دليل مادي محسوس على الأهمية المولاة لتعليم اللغات، لدرجة أنه إذا ما ذكرت اللسانيات التطبيقية، انصرف الذهن إلى تعليم وتعلم اللغات، مما قرّ معه لدى غير المختص المتبحرّ أنها مرادف لتعليمية اللغات.

**4- في السياق الفرنكفوني: التردّد ما بين التبني والرفض والتداخل المفاهيمي.:** ما تبديه المعاينة الأولية للمتتبع للمسار التاريخي لظهور مصطلح اللسانيات التطبيقية، ومأسسته، هو أن الإسهام الفرنكفوني عامة والفرنسي بخاصة في هذا المجال المعرفي كان محتشما، على الرغم من أن ميلاد الجمعية الدولية للسانيات التطبيقية، كان على الأراضي الفرنسية، والتي مازالت تحتفظ إلى يومنا هذا بالتسمية والشعار الترميزي الفرنسيَيْن(AILA)، فالجهود الفرنسية لا تقاس بجهود نظيرتها الأنجلوساكسونية في ترقية هذا الميدان، ويتبدَّى هذا على مستوى المكانة العلمية للباحثين الفرنسيين الذين لا يحال إلا نادرا على أبحاثهم وإسهاماتهم الفكرية، ومن ثَمَّ جاز لنا القول إن اللسانيات التطبيقية تفوُّق أنجلوساكسوني بامتياز. وعليه صار البحث في الأسباب الكامنة وراء التردد الفرنكفوني في احتضان اللسانيات التطبيقية ضروريا. مع العلم أن مأسسة اللسانيات التطبيقية في فرنسا سارت بالموازاة مع مثيلتها في بريطانيا، وكانتا شريكتين في إدخالها إلى أوروبا.

فقد اقتحم مصطلح اللسانيات التطبيقية دائرة التوظيف والمأسسة في فرنسا سنة1958، وذلك عبر إنشاء مركز اللسانيات التطبيقية بجامعة بوزانسون(C.L.A.B)* ، وكذا جمعية الترجمة الآلية واللسانيات التطبيقية(A.T.A.L.A)* في1959، وفي سنة 1962 ظهرت إلى الوجود مجلة دراسات في اللسانيات التطبيقية(E.L.A)*، أما الجمعية الفرنسية للسانيات التطبيقية فكان تأسيسها في 1965، وكان لفرنسا فضل السبق في احتضان أول مؤتمر دولي للسانيات التطبيقية في1964 [45]. ما يظهره تلاحق الأحداث أن سيادة المصطلح فرنكفونيا عرف فترة ازدهار في سنوات الستينيات من القرن الماضي، ويعود ذلك لجهود متميزة قام بها اللساني برنارد كيمادا(Bernard Quémada).

وبدءا من سنة1968، لوحظت بوادر الافتراق المعرفي ما بين فريق اللسانيين التطبيقيين، ومن أضحوا يصفون أنفسهم بالتعليمياتيين(Les didacticiens) فقد عرفت هذه الفترة هَبَّة المختصين في تعليم اللغة الفرنسية، بوصفها لغة أجنبية(FLE) في السياق الفرنسي، بفعل اشتغال هؤلاء على ترقية

المناهج والطرائق والمحتويات الخاصة بها. إذ إنه ومع بداية سبعينيات القرن العشرين، لم تعد اللسانيات التطبيقية بالنسبة إليهم ميدانا مرجعيا، ورفضوا الإحالة عليها، أو الاعتراف بها، وقد بلغت درجة الرفض حد طرح مسمى بديل لأبحاثهم هو تعليمية اللغات(Didactique des langues)، وعرفت سنة 1972 أوج الأزمة بين اللسانيات التطبيقية والدعوة إلى تخصص جديد، ينضوي تحت لوائه المشتغلون في حقل تعليم اللغة الفرنسية، إذ ظهرت ثلاثة نصوص مرجعية في هذا الميدان، تعلن عن ميلاد حقل معرفي مستقل تمام الاستقلال عن اللسانيات التطبيقية. أول هذه النصوص، ظهر في مجلة الفرنسية في العالم(F.D.L.M)* لميشال دابان(Michel Dabèn)، الذي أطلق صرخة مؤداها وجوب التوقف عن اعتبار تعليم اللغات تطبيقا، لأي كائن مهما كان، وأنه تخصص كباقي التخصصات، والذي يجب أن يعرّف بما هو متصف به، وكما في استعارته من التخصصات الأخرى التي هو في حاجة إليها، ويرى أنه يمتلك الأهلية لطرح إشكالياته الخاصة به، وليست اللسانيات هي التي تعِدُّ له النماذج، التي يتساءل الممارسون عن كيفية تطبيقها...وضمن هذا المنظور يمكن لنا أن نتكلم عن "تعليمية اللغات" بوصفها تخصصا ذا طبيعة مخصوصة بالنظر إلى الغايات المنتظرة من تعليم اللغات[46].

وثاني نص يمكن وصفه بالمؤسس هو ذاك الصادر عن دونيس جيرار(Denis Girard) في كتاب له بعنوان "اللسانيات التطبيقية وتعليمية اللغات"، ففي الفصل الأول منه الوارد بعنوان على شكل تساؤل" لسانيات تطبيقية أم تعليمية لغات؟" والذي يمكن وسمه بالمدخل الإشكالي، أبدى فيه موقفه الصريح من القضية، والذي ذهب فيه إلى أن: لتعليم اللغات كامل الحق في الوجود مستقلا، ليس بوصفه فنا، بل علما غير متردد في الاقتراض من العلوم الإنسانية الأخرى مما يمكن لها أن تضيفه له[47].

وثالث نص يُعتدُّ به في الأدبيات الفرنسية للتأسيس لتخصص اسمه تعليمية اللغات، مترجم عن الإنجليزية للباحث اللساني الكندي وليام فرانسيس مكاي(William Francis Mackey)*، وقد أحال عليه جيرار دونيس في مدخله الإشكالي معززا به موقفه، مع العلم أنه صادر سنة1961، وكان قد ترجم حديثا إلى الفرنسية(1972)، والذي يعلن فيه أنّ مَن حيَّن المصطلح القديم "تعليمية" هو مكاي لأجل الحديث عن التصور العلمي لتعليم اللغات، في تساؤله: لماذا لا نتحدث نحن أيضا عن تعليمية اللغات بدلا من اللسانيات التطبيقية؟ فهذا مما يرفع بعض اللبس، ويعطي لتعليم اللغات الوضع الذي تستحقه[48].

وقد تكفَّل بعدَ ذلك روبرت غاليسون (Robert Galisson) بمهمة الدفاع عن استقلالية ما أضحى يُعرف بتعليمية اللغات، في أبحاثه الكثيرة التي نشرها، وكان في دفاعه هذا يحصر المناداة إلى الاستقلالية في السياق الفرنسي، ففي مستهل مقال له بعنوان: إشكالية استقلالية تعليمية اللغات(السياق الفرنسي)الصادر سنة1989، يصرح في مستهله أن تعليمية اللغات قد اختنقت بين

الحدود المصطنعة المفروضة عليها من اللسانيات وعلم النفس، ويستطرد في مقدمته هذه التي يبني عليها دعوته الانفصالية، بأنه اكتُشِف أن التخصصات النظرية التي تمثل السند المرجعي لتعليمية اللغات قد حدَّت من هامش مناورتها في التطبيق، مما حرمها من الحرية الضرورية التي تمكِّنها من اكتشاف هويتها، نظرا لكون هذه التخصصات تستهدف أغراضا غير تلك التي هي من أهداف التعليمية، إضافة إلى عدد آخر غير يسير من الدواعي والمبررات التي نحيل عليها في مظانها[49]، ثم يعرج على اللسانيات التطبيقية، ليسوق جملة من الأسباب التي تجعل من التعليمية تخصصا قائما بذاته، لا حقلا فرعيا منها ومن بينها أنها اقتحمت(أي اللسانيات التطبيقية) ميدان تعليم اللغات متأخرة في فرنسا، وأنه يشوبها الكثير من اللبس، وليست محل إجماع، بل تكاد تكون مجهولة[50].

وعلى كل فهو يرفض كل شكل من أشكال التبعية أو العلاقة التبادلية ما بين تعليمية اللغات واللسانيات التطبيقية. وهو الموقف الذي دفع باحثا كدانيال كوست(Daniel Coste)، ذي الموقع الوازن في تعليمية اللغة الفرنسية، إلى القول واصفا درجة الحدّة التي وصلت إليها الدعوة الانفصالية:" إن تعليمية اللغات، لا يمكن لها أن تتطور، في عيون البعض، إلا على أشلاء لسانيات تطبيقية، أضحت أكثر إضرارا أو إزعاجا في الحقيقة من كونها نافعة للميدان الذي نسعى لإنشائه... وكان يجب عليها أن تتخلص من كل شبهة علاقة تبعية بإزاء أي تخصص آخر[51]"*.

ما يبدو للمطلّع على دفوعات غاليسون، أنها سارت في اتجاه مساجلة حادة بين تخصّصين، وكأنه لا علاقة لأحدهما بالآخر، فبحثه عن شرعية تعليمية اللغات، واعتراف رسمي بها، جعله ينكر حتى التقارب بينهما أو التكامل، فهو يرى أن اللسانيات التطبيقية تعمل في المصب، أي على لغة تامة التشكل وقارة، وموضوعها الفرد المتكلم/المستمع المثالي، والتعليمية على المنبع، أي على لغة في طور التشكل، ومركز اهتمامها الفرد المتعلم، ومن ثمة تباينت الغايات، والمسالك، وزاويا التناول، وذلك من خلال اتجاه تعليمية اللغات إلى دراسة مسارات اكتساب اللغة وتعلمها، على خلاف اللسانيات التي تستهدف المعرفة لأجل ذاتها. ويصل إلى أنه لا وجود لتكامل بينهما فلا تعاضد يكون ضروريا بينهما، وبالتالي فلن تكون اللسانيات ممرا إجباريا ولا نواة صلبة لتعليمية اللغات، مثلما حاول وعلى مدار زمن طويل أن يقنعنا اللسانيون التطبيقيون[52].

كما أن حماسه لاستقلالية تعليمة اللغات دفعه إلى نعت مخالفيه بأوصاف تخرج عن الاعتدال العلمي، والموضوعية في التعامل مع أفكار الآخرين[53]، وإن نظرة عجلى على الطروحات التي ساقها غاليسون تُظهِر وكأن الأمر متعلق بلسانيات مطبقة على تعليمية اللغات والثقافات[54]، لسانيات بالطرح الذي قدمه سوسير(المعرفة لأجل ذاتها)، وبمصطلحات طرحها تشومسكي(الفرد المتكلم/المستمع المثالي)، مع أن غاليسون، عايش مرحلة أفول نجم البنوية، وانفتاح آفاق الدرس اللساني على شتى الظواهر اللسانية في مختلف سياقاتها، وشروطها المؤطرة، ومن ثمة كان عليه ألا يبني دفاعه وحجاجه على مقولات لسانية عدّت في حكم المتجاوزة في لسانيات الجيل الثاني، التي يعد

أحد الشاهدين على انبثاقها. وهو يعلم أيضا أنه بإزاء مسمى آخر غير اللسانيات النظرية، إذا سلمنا بأنه غير مهتم بالتطورات الحادثة، وهي ميدان أشد اتساعا مما يمكن تصوره اسمه لسانيات تطبيقية، وكأنّ تنازعهما الشرعية على احتكار ميدان هو الوحيد الذي يشتغلان عليه معا، مع أن المقال المذكور نشر في وقت عرف توسّعا لا نظير له على ميادين الحياة المختلفة من قِبل اللسانيات التطبيقية.

وقد بقي غاليسون وفيا لموقفه في غير الكتابة المشار إليها أعلاه، فقد أعاد طرح دعوته لاستقلالية تعليمية اللغات، ولكن تحت مسمى آخر هو من مشمولات أو مكمّلات هذه الأخيرة ألا وهو علم التعليمية/تعليمية اللغات والثقافات(D/D.D.L.C) *، في محاولة منه لعلمنة دعوته الانفصالية التخصصية[55]. وكان يصرّ دوما على أن اللسانيات التطبيقية مهمتها تطبيق النظريات اللسانية[56]، في حين أن أغلب من نظّر لها وحاول مَفْهَمتها، وضبط حدود اشتغالها ذهب إلى أنّها مجال مفتوح يسترفد أدواته الإجرائية من حقول معرفية شتى، وأن دَيْدنها الإجراء فحيثما وجدته، فهي أحقّ به، ولم تنغلق في يوم ما، ولم تبقِ هامش مناورتها في حدود اللسانيات النظرية كما في القراءة التي ذهب إليها غاليسون. ومن ثمّة لا وجود في عرف اللسانيين التطبيقيين لما هو أصل أو فرع، من منطلق تجاوزهم لمفاهيم المعْيرة، والتعصب لنظرية ما على حساب أخرى، أو الولاء المطلق لهاته النظرية والرفض لتلك، فهم يؤمنون بتكامل المعارف وتداخلها وتظافر جهودها في مقاربة الظاهرة البشرية مجسّدة في اللغة.

وفي حديثه على انقسام موقف التعليمياتيين إلى فريقين في فرنسا من مسألة استقلالية هذا التخصص الناشئ في نظره، بين مؤيد ورافض[57]. اعتراف أن دعوته لم تلق الرواج والصدى الإيجابي الكافي، وعليه فإن هذا يؤدي بنا إلى الحكم ببقاء الوضع عمّا هو عليه، أي أن تعليم اللغات فرع مركزي في حقل اللسانيات التطبيقية. وقد جرّه هذا الموقف من دعوته إلى نداء وجّهه إلى من يسمهم أنصار استقلالية تعليمة اللغات إلى التجمع في اتحاد فيدرالي[58] يوحّدون من خلاله توجههم العام، وبالتالي فإن هذا سيكسبهم قوة فاعلة، تؤدي إلى اعتراف المؤسسة الرسمية بهم بوصفهم ممثلين لتخصص علمي، يحمل مواصفات العلم القائم بذاته. مما يلاحظ على التصنيف الذي قام به هو كونه جاء في صيغة كلام مرسل يفتقد إلى الإثبات والدليل المادي كطرح أسماء وازنة في المجال أو إحالة على كتاباتها عدا ميشال دابان الذي تعرضنا لموقفه من قبل ويعد غاليسون متابعا له.

وهو ما يوصلنا في النهاية، إلى أنه وعلى الرغم من الجهود التي بذلها الباحثون الفرنسيون لأجل مأسسة ومَخْصَصة حقل معرفي مستقل يُعنى بتعليم اللغات فقط*، إلا أن دعوتهم لم تغادر حدود الحيز الفرنكفوني، ومن سار في فلكه، وبقي هذا المجال ميدانا فرعيا من اللسانيات التطبيقية. بدليل أن موقع الجمعية الفرنسية للسانيات التطبيقية، أي جمعية البلد الحاضن تُدرج هذا المجال ضمن مشمولاتها. كما يمكن أن ندعم رأينا في المسألة بموقف دنيال كوست، وهو الذي شغل منصب

مدير أبحاث ودراسات نشر اللغة الفرنسية(C.R.É.D.I.F)، الذي خرج منه مشروع انفصال التعليمة، من قبل، والذي يرى أنه:" ينبغي أن نعتقد أن علاقتهما(أي اللسانيات التطبيقية وتعليمية اللغات) لا يمكن لها إلا أن تتطور على نموذج آخر غير نموذج الإقصاء أو التجاهل المتبادلين[59]"* كما أن تنصيب هذا الأخير على رأس هذا المركز دليل على عدم اعتراف المؤسسة الرسمية بهذه الدعوة .

وقد أثبتت الوقائع أن هذه الدعوة لم تجلب لها أنصارا، مما حدا بأحد الدارسين إلى توصيف الوضعية المعرفية التي استقر عليها الدارسون على الشكل الآتي: إن الصراع المفتعل ما بين التعليمية واللسانيات التطبيقية، غير معفى من رهانات إثبات الوجود وفرض المأسسة...، وأن المقاربة التي طرحها غاليسون ليس لها - على ما يبدو اليوم- أنصار.. فالتعليمية بوصفها تخصصا إجرائيا وضروريا يمتلك مسارا في البحث والتفكير لأغراض عملية بكل تأكيد، إلا أنه يبقى لسانيا صرفا في أولوياته على مختلف مستويات التنظيم واشتغال اللغة[60]. وهي محاولة -كما هو ظاهر للعيان- تركيبية توافقية عملت على الجمع ما بين اللسانيات التطبيقية وتعليمية اللغات في المشترك الذي لا خلاف فيه، وأقرت لكل طرف الوضع الذي ينبغي أن يقف فيه. ولكن ما ينبغي الإشارة إليه أنها نشأت في السياق الفرنكفوني السويسري. والذي مما لا شكّ فيه أنه متأثر في بعض مكوناته بالمشروع الانفصالي.

ونحن نعزو بدورنا المسألة إلى كونها نابعة عن عقلية فرنسية تسعى دوما إلى التميّز، وعدم التبعية العلمية للآخر المتفوق(العالم الناطق بالإنجليزية)، وكذا البحث عن الهوية الفارقة، فهي – في نظرنا على الأقل- مجرد حساسية مفرطة، وبحث عن شق طريق موازٍ، وتسجيل حضور لافت، وخصوصا إذا علمنا أن التنافس بين اللغتين الفرنسية والانجليزية على اكتساب مناطق نفوذ جديدة في غير صالح الأولى ولا تكاد تذكر معها.

ومما يجب التنبيه إليه أن البدايات الأولى للاشتغال على نشر اللغات الأوروبية ذائعة الصيت، أو ما يسمى لغات الحضارات الكبرى بدأ بالتعاون بين البريطانيين والفرنسيين تحت مظلة الهيئات الأممية، واستهدف المستعمرات القديمة، بدعوى تمكينها من الرقي الثقافي والاجتماعي عن طريق إعداد برامج ومحتويات ومناهج تسهل تعليم هاتين اللغتين فيها، وتساعد على انتشارهما[61]. وفي ذلك تكيّف مع متطلبات مرحلة ما بعد الاستعمار، والتي كانت محل دراسات معمقة ومكثفة في العالم الغربي ثقافيا واجتماعيا، وسياسيا واقتصاديا ولغويا، لهدف جلي هو الإبقاء على الهيمنة الأوروبية المتراجعة لصالح قوى جديدة آنذاك(أمريكا والاتحاد السوفياتي-سابقا-)، والتحكم في مقدرات الشعوب، وهو ما عرف في فترة ما من التاريخ البشري بالاستعمار الجديد، والذي قوامه الغزو الثقافي الذي تمثل فيه اللغة قطب الرحى.

**5-اللسانيات التطبيقية وتشعبات التطور:** وبعد هذه الوقفة مع ملابسات النشأة في الفضاءات الحاضنة، والتي كانت في جلها متمحورة حول إشكاليات تعليم وتعلم اللغات واكتسابها، وإعداد المحتويات وتطوير المناهج، وبعض موضوعات حوسبة اللغة وخاصة الترجمة الآلية، وكذا الترجمة.

صار لزاما علينا أن نعرج على المحطات التي وصلت إليها اللسانيات التطبيقية عبر مسارها التطوري، والذي هو سمة ملازمة لكل حقول المعرفة الإنسانية.

فالداعي لوقفة كهاته إبستيمي في المقام الأول، ومردّه إلى التطورات الداخلية التي عرفتها اللسانيات التطبيقية، وكذا التحولات التي لحقت القضايا التي تشتغل عليها اللسانيات النظرية بفعل التيارات الجديدة التي اقتحمتها، انطلاقا من كونها تشكل النواة الصلبة المحال عليها تطبيقيا، إضافة إلى التحولات المجتمعية الكبيرة التي شهدها العالم في الآونة الأخيرة، مما يفرض على اللسانيين التطبيقيين التأقلم مع المتطلبات الجديدة وتكييف أبحاثهم، بحيث تمتلك القدرة على تغيير وجهتها نحو الانشغالات الطارئة، وبهذا تكون اللسانيات التطبيقية قد احتفظت بمبررات وجودها، ودخلت في دائرة الجدوى المطالبة بها كل العلوم في الوقت الراهن. وهنالك سبب آخر يفرض علينا الوقوف عند التطورات التي شهدتها اللسانيات التطبيقية ممثلا في كون تخصصات أخرى صارت تتمدد لتشغل الميدان نفسه، كاللسانيات النفسية، واللسانيات العصبية، واللسانيات الإدراكية، ولسانيات المدونة، ولسانيات النص...

وتشير المتابعة الميدانية لما ينشر في الساحة العلمية، وما يعقد من مؤتمرات وندوات أن اللسانيات التطبيقية قد عرفت منذ تسعينيات القرن الماضي انفتاحا شمل موضوعات لم تكن من ضمن أولوياتها مثل: أشكال التفاعل اللغوي والثقافي، ولغات الأقليات، وتأنيث اللغة (Fiminisation de la langue)، والنزوح اللغوي(Exolinguisme)، أي أنها صارت أكثر قربا من الواقعة اللغوية، مما يجعل منها نشاطا بحثيا يدرس اللغة في اللحظة التي تدخل فيها بكيفية مركزية في ممارسات اجتماعية مختلفة، ونشاطات مهنية متنوعة، وهذا ما يؤكد حقيقة التشكُّل التدريجي، والثبات على أرضية الميدان، فاللسانيات التطبيقية ميدان من طبيعة مخصوصة لارتباطه الوثيق بالعمل على حل المشاكل اللغوية[62]. مما يفرض عليها أن تكون آنية(Synchronique) بمصطلح سوسيري في مقابل التعاقبية [63] (Diachronique)والتي هي سمة الدراسات اللسانية التاريخية.

وقد لخص الباحث النمساوي مارتن ستيغي(Martin Stugu) الأرضية التي تقف عليها اللسانيات التطبيقية حاليا في توصيف له، بالمنعرج الاجتماعي، والثقافي والسياسي في تاريخها الذي بدأ بقضايا التعلم، لتصل إلى مشاكل التواصل في تنوعها، وتعدد تمظهراتها في محطتها الحالية، إذ يرى هذا الدارس، أنه ولأجل ضبط أكثر دقة لخصائص اللسانيات التطبيقية المعاصرة، يجب الإشارة إلى أن الأمر لا يتعلق ببعض الأوجه التطبيقية للسانيات النظرية، وإنما يصل إلى حد المقاربات المستقلة المرتكزة عادة على بعض النظريات اللسانية، مع عملها على استحداث نظريات خاصة بها غالبا ما تكون ذات طبيعة بينية، وهو يرى أنها مثلما ما انشغلت في بدايات التأسيس بقضايا تعلم اللغات الثواني(Secondes) والأجنبية، فإن هذه القضايا مازالت من أولوياتها، مع انفتاح أكثر انعطافا نحو مشاكل التواصل التي يمكن أن تواجه الإنسان في عالمه الحالي[64]. وفي دراسة أخرى له في الموضوع

نفسه يشرح طبيعة هذه المشاكل التواصلية التي دخلت اهتمام اللسانيات التطبيقية فيصفها بكونها: داخل- ثقافية(intra-culturels)، وأخرى بين–ثقافية(inter-culturels)، ويضيف أن مجال اللسانيات التطبيقية يتسع إلى درجة احتوائه قضايا مثل دراسة ومعالجة العلاقة القائمة بين مختلف أوجه السلطة، حينما تكون ذات صلة بالممارسات الخطابية[65].

وهو ما يعني ضمنا أن مجال الاهتمام منصب حاليا على التفاعلات داخل الثقافة الواحدة انطلاقا من معاينة المشاكل الناجمة عن التشويش أو سوء وصول الرسائل الثقافية إلى متلقيها بفعل العامل اللساني، نظرا لكون اللغة هي الحامل المادي أو الوعاء الناقل للثقافة. وهو الأمر الذي يقع بفعل التجاور والتقارب اللغوي بين الثقافات المختلفة، وخاصة عندما يتعلق الأمر بنقل رسالة ما بين أكثر من نسق لساني واحد، وبالأخص إذا كان هذا التفاعل سيؤثر سلبا على العلاقات القائمة بين المتشاركين في فضاء جغرافي واحد بفعل تعدد لغوي أو لهجي، أو إذا ما كانت تبعاته ستصل إلى علاقات مهنية قد تؤثر على استقرار المنظومة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، ويتم ذلك بالتوجه إلى تحليل الممارسة الخطابية السائدة انطلاقا من كونها ممارسة لغوية غايتها إقامة التواصل، وفق معطيات نظرية لسانية أو مقاربات مسترفدة من حقول معرفية اجتماعية وإنسانية، آخِذا في الحسبان الحالة موضوع الدراسة والتوصيف والعلاج.

ومن ثمة نصل إلى أن اللسانيات التطبيقية لم تتخل عن ميدانها المفضل(تعليم اللغات) لأي تخصص كائنا ما كان، ولكنها لم تتوقف عن استجلاب مناطق أخرى لدائرة نفوذها، وحجتها في ذلك الحضور اللغوي الذي يمنحها شرعية وسلطة التدخل، وتوصيف العلاج، كما أشرنا وفي أكثر من موضع من هذه الدراسة.

**6- على سبيل الحوصلة:** قام دنيال كوست بتقديم خلاصة للمحطات التاريخية التي مرت بها اللسانيات التطبيقية، وعمل على تحديد خصائص كل مرحلة إبستيميا، فوجدها لا تخرج عن خمس، وأعطى لكل واحدة منها عنوانا، وحددها بتواريخ، وفق تعاقب زمني، ارتأينا إعادة تقديم أهم معالمه هنا، لاعتقادنا بأهمية التوصيف الذي أعدّه في تجلية التطورات التي شهدها هذا الحقل إلى أن وصل إلى ما وصل إليه، على الرغم من وقوفه عند نهاية ثمانينيات القرن الماضي، تاريخ نشر المقال، لأننا نرى أن هذه المرحلة بما تحمله من مواصفات لم تنته بعد، إذ نلحظ في الكتابات التي جاءت بعد تاريخ صدوره بأكثر من عقدين تأكيدا لهذه المعاينة. فقد كتب أحد الدارسين سنة2009 أن اللسانيات التطبيقية قد عرفت في العقدين الأخيرين تحولات عميقة في موضوعاتها وتحرياتها، والتي ترسخت بقوة في إشكاليات اكتساب اللغة، وكيفية اشتغال التفاعلات المدرسية، كما عرفت حديثا انفتاحا على الخطابات المهنية، وبصورة أعم على حقل تحليل العمل، وأن هذا التحول أكثر معاينة في الأنموذج(Paradigme) الأنجلو ساكسوني ممّا في التقليد الفرنكفوني[66].

**6-1- اللسانيات التطبيقية- علم دقيق وتكنولوجيا فائقة- (من الخمسينيات إلى بداية الستينيات):** وتميزت بالصرامة العلمية، عبر الاستعارة مما يعرف بالعلوم الصلبة كالرياضيات والتقنيات كعمليات التكميم، والتعداد، والإحصاء والمعالجة الآلية، والمقاربات القائمة على التجارب، والدراسات الإمبريقية، والمراقبة والقياسات.

**6-2- اللسانيات التطبيقية واللسانيات العامة( خلال فترة الستينيات):** وتميزها حالة البحث عن إعادة المفهمة والتوازن، في عشرية هيمنت عليها البنوية بصرامتها، وبفضل هذا التيار المعرفي أضحت اللسانيات علما-قطبا بين العلوم الإنسانية، ومن ثمة بحثت اللسانيات التطبيقية عن التكامل ضمن حركية بحث عن الشرعية العلمية، واعتبر كوست هذه الفترة بالعصر الذهبي لهذه الأخيرة، والذي شهدت فيه توجه الاهتمام نحو مواقع وموضوعات وأغراض أخرى. ومما اختصت به هذه الحقبة أيضا هو بداية بروز تعليم اللغات بوصفه ميدانا تطبيقيا، وبداية التساؤل عن الجدوى من بقائه منزويا تحت لواء اللسانيات التطبيقية، من قبل بعض المختصين في تعليم اللغة الفرنسية لغة أجنبية على وجه الخصوص.

**6-3- اللسانيات التطبيقية ومناهج تعليم اللغات(نهاية الستينيات وبداية السبعينيات):** ونعتها الباحث بمرحلة التوسع واكتشاف مناطق بحثية غير تلك التي غزتها سابقا، وهي تدين بالفضل، في علميتها لا إلى اللسانيات العامة فقط، وإنما إلى علمي النفس والاجتماع أيضا اللذين اتخذت منهما مرجعية لها، بعدما شاهد التطبيقيون بداية تزحزح البنوية عن علیائها.

**6-4-من اللسانيات التطبيقية إلى تعليمية اللغات(من بداية السبعينيات إلى نهاية الثمانينيات):**

ميّزها سعي أنصار تعليم اللغات إلى الخروج من دائرة التخصصات الفرعية إلى الانفصال، واتخاذ عنوان لهم بديلا عن اللسانيات التطبيقية، وكان المعين على البحث عن الاستقلالية هو تغلغل المختصين في تعليمية اللغات في مراكز أكاديمية راقية وخاصة في فرنسا، وهو ما حفزهم على الجرأة على التصريح بالفكرة التي أضحت في بعض جوانبها ولو مؤقتا واقعا معاينا.

**6-5- إعادة تحيين اللسانيات التطبيقية(من نهاية الثمانينيات إلى يومنا هذا):**

وخاصية هذه الفترة أن اللسانيات التطبيقية حافظت على ديناميتها، وأثبتت أنه لا يمكن لها أن تتلاشى، أو أن تتراجع عن أي موقع اقتحمته، وكذا انفتاحها على كل المجالات التي يكون موضوعها التواصل بكل أشكاله اللغوية[67]من شاكلة: إسهامات الوقائع اللسانية في تشكُّل الهُويات المهنية، وصيغ الكتابة المهنية، واشتغال اللغة معجميا وتركيبيا وصيغ لغوية في مواقع العمل، وكذا وظيفة اللغة في اتخاذ القرارات المهنية، ودراسات خطابات الأعمال، بحيث تتجه المقاربة اللسانية التطبيقية إلى المظهر اللغوي في الموضوع المعالج، ممثلا في الكفايات اللغوية المجنَّدة[68].

**7- الهوامش والإحالات:**

[1] -Voir : Danielle Candel. Linguistique appliquée : parcours définitoires et lexicographiques. In : Histoire Epistémologie Langage. . Tome33. Fascicule1. 2011.p.102.
[2]-Ibid. p.102.
[3]-Ibid. pp.102 -105.
[4]-Ibid. p.102.
[5]-Ibid. p.104.
[6]-Voir : John Humbley. La réception d'Eugen Wuster Dans les pays de langue française. In : Les cahiers de CIEL.2004. p.33.
[7]-Cité par : Danielle Candel. Linguistique appliquée .p104.
*Linguistique appliquée. L'épreuve linguistique comme moyen d'identification des individus soumis aux recherches scientifiques.
[8] -voir: L.Azoulay. Linguistique appliquée. L'épreuve linguistique comme moyen d'identification des individus soumis aux recherches scientifiques. Bulletins et Mémoires de la Société d'anthropologie de Paris. Série V. Tome 4, 1903. pp. 565-569
[9] -voir : Michel Berthet. La linguistique appliquée à l'enseignement des langues secondes aux États-Unis. In : Histoire Épistémologie Langage, tome 33, fascicule 1, 2011. pp.94-95.
[10]- voir : Jacqueline Léon. De la linguistique descriptive à la linguistique appliquée dans la tradition britannique : Sweet, Firth et Halliday. In : Histoire Epistémologie Langage. . Tome33. Fascicule1. 2011. P.71.
[11] -voir : Michel Berthet. La linguistique appliquée à l'enseignement des langues secondes. pp.72-74.
[12]-Ibid. pp.74-75
[13]-Ibid. p.76.
[14]-Ibid. pp.76-77.
[15]-Ibid. p.76.
[16]-Ibid. p.77.
*On the significance of learner's errors
[17]- Ibid. pp.93-94.
* Second Language Acquisition.
[18]-Ibid. p. 94.
[19]-voir : Denis Girard. Linguistique appliquée et didactique des langues. Ed : Armand Colin-Longman. Paris.1972. p.20.
[20] -voir : Michel Berthet. La linguistique appliquée à l'enseignement des langues secondes. p. 94.
[21] -Voir : Jacqueline Léon. De la linguistique descriptive à la linguistique appliquée dans la tradition britannique. p.71

[22] -voir : Halliday, M.A.K. Linguistique générale et linguistique appliquée à l'enseignement des langues. Études de Linguistique Appliquée. Vol. 1. Paris. 1962. pp.5-42

[23] -voir : Jacqueline Léon. De la linguistique descriptive à la linguistique appliquée dans la tradition britannique .p. 78.

[24]-Ibid. p.78.

[25]-Ibid. p.78.

[26]- Ibid. p.79.

[27]-Ibid. p.79.

[*] Applied linguistics as an evolving theme.

[28]-Ibid. p.79.

[29]-Grabe William. Applied Linguistics: An emerging discipline for the twenty-first century. In Kaplan, R.B. et al. éd: The Oxford Handbook of Applied Linguistics. Oxford University Press. 2002. p.1-12.

[30] -voir : Jacqueline Léon. De la linguistique descriptive à la linguistique appliquée dans la tradition britannique. pp.79-80.

[31] -Voir : Miche Berthet. La linguistique appliquée à l'enseignement des langues secondes. p. 86 .Ibid. pp.86-87.

[32]-Ibid. pp.86-87.

[33]-Ibid. pp.86-87.

[34] -Voir : Miche Berthet. La linguistique appliquée à l'enseignement des langues secondes. p.87.

[*] Albert Paul Weiss (1879 – 1931): عالم سلوكي أمريكي من أصول ألمانية، موسوعي المعرفة، ما يهمنا في مقامنا هنا هو دراساته اللغوية التي استلهم منها بلومفيلد أفكاره، إذ كان يرى: أن الشكل الأقصى للسلوك هو قيامه على الجمع المتناغم ما بين مسار التفكير الذهني ومسار السلوك الفيزيائي، الذي يتم ضمن الجهاز العصبي، فقد لاحظ أن التصرف بإزاء مثير ما، يكون في شكل استجابة صوتية، وهو ما يعني أن اللغة تصرفت بوصفها وسيلة لدى البشر لربط الاستجابات ببعضها البعض، وبالنسبة إليه يستحيل دراسة السلوك بدون لغة لترابطهما الوثيق، وتقوم اللغة بنقل الخصائص والتفاعلات التي تعكس ما يحدث داخل الجهاز العصبي، وانطلاقا من نظرة مادية كان يرى أن اللغة شيء غير ملموس ذي أصول مادية.

[*] لم نعثر فيما اطلعنا عليه من كتابات عربية مقابلا لهذا المصطلح الفرنسي الوضع، وعليه كان لزاما علينا الاجتهاد المصطلحي، فاستقر الرأي، وبعد تشاور مع الزميل والصديق د.محمد عدلان بن جيلالي بشأن هذا المصطلح الغربي، ووقع التوافق على هذا اللفظ مقابلا له، لجملة أسباب: فهو جار على القياس، وموافق للذوق العربي، وصيغته وردت كثيرا في العربية المحتج بها: مبخلة، مجبنة، مسغبة، مترية...وأخير مأسسة الذي أضحى مصطلحا، بشيوعه وتواتره في الكتابات العربية وخاصة المغاربية منها.

[35] -Voir : Miche Berthet. La linguistique appliquée à l'enseignement des langues secondes. p.87.

[36]- Ibid. pp.87-88.

[37] Charles Fries Carpenter. Preparation of Teaching Material, practical Grammars, and Dictionaries, especially for foreign Languages. In: Language Learning. 1959.N°. 9. pp. 1-43.
*Language Learning: A quarterly journal of applied Linguistics.
[38]-Alan Davies. An Introduction to Applied Linguistics. p.4.
[39]-Ahmar Mahboob and Caroline Lipovsky. Studies in Applied Linguistics and Language Learning. Cambridge Scholars Publishing .2009. p.1.
*As we see it.
[40] -Charles Fries Carpenter. Preparation of Teaching Material, practical Grammars, and Dictionaries, especially for foreign Languages. pp. 1-43.
[41]-Ibid. pp.44-46.
[42] -voir : Christian Puren. Histoire des méthodologies d'enseignement des langues vivantes. Nathan-CLE international. Paris. 1988. pp.307-304.
* A Journal of Research in Language Studies.
* complexنسق تكييفي مركب، أو نظام مركب ذاتي التكييف، المقابل العربي للمصطلح الإنجليزي( adaptive system)والفرنسي(système complexe adaptatif) أو(système complexe auto-adaptatif)، ويراد به جملة الحالات الخاصة، المشكلة لنسق مؤهّل للفرد على التأقلم مع محيطه بوساطة خبرات التعلم. وقد أدخل هذا النظام إلى مجال الأبحاث التعليمية بالمعهد البيني بسانتافي( Santa Fe Institute. في الولايات المتحدة الأمريكية).
[43]-voir : Miche Berthet. La linguistique appliquée à l'enseignement des langues secondes. P.95.
[44] -voir : Christian Puren. Histoire des méthodologies d'enseignement des langues vivantes. pp.293-294.
*Centre de Linguistique Appliquée de Besançon.
*Association de Traduction Automatique et de Linguistique Appliquée.
*Etudes de linguistique appliquée.
[45]-Galisson Robert. Problématique de l'autonomie en didactique des langues (contexte français). In : Langue française, n°82, 1989. p.96.
*Le français dans le monde.
[46]-Voir : Michel Dabène. Le CRÉDIF en 1972.In : Le Français dans le Monde. N° 92. 1972. p. 10.
[47] -Voir : Denis Girard. Linguistique appliquée et didactique des langues. Armand Colin-Longman-4eme edition. Paris.1972. p.9.
*Principes de didactique analytique. Analyse scientifique de l'enseignement des langues.
[48]-Cité par : Denis Girard. Linguistique appliquée et didactique des langues Op. Cit. p.9.
[49]-Voir : Robert Galisson. Problématique de l'autonomie en didactique des langues. pp. 95-115.
[50]-Ibid. pp.95-97

[51]-Voir : Daniel Coste. Elans et aléa de la linguistique appliquée. In : Bulletin CILA(Commission interuniversitaire Suisse de la linguistique appliquée). N°50.Novembre 1989. p.122.

*Aux yeux de certains, la didactique des langues ne pouvait se développer que sur les cendres d'une linguistique appliquée désormais plus compromettante ou déclassante que véritablement utile au domaine que l'on cherchait à construire... il lui fallait se débarrasser de tout soupçon de relation de dépendance à l'égard d'une autre discipline.

[52]- Voir : Robert Galisson. Problématique de l'autonomie en didactique des langues. p.103

[53]-Ibid.p.101.

[54]-Ibid. P.100.

*Didactologie/didactique des langues et cultures.

[55] -Voir : Robert Galisson. Un espace disciplinaire pour l'enseignement/apprentissage des langues-cultures [Etat des lieux et perspective]. In : Revue française de pédagogie, volume 108, 1994. pp. 25-37.

[56]-Ibid. p.30

[57]- Ibid. p.30-28.

[58]- Ibid. p. 28 .

*وهذا ما يتجلى حتى في التعريفات التي تقدمها المعاجم اللسانية الفرنسية المختصة لمادة تعليمية اللغات، والتي منها أنه علم يختص بدراسة طرائق التعلم(J.Dois.p.147)، وأنها مفهوم وضع لمقابلة لسانيات تطبيقية، وهي مصطلح حديث النشأة، محاكٍ للفظ الألماني(didaktik) (G.Mounin.p.109).

[59]-Voir : Daniel Coste. Elans et aléa de la linguistique appliquée. p.124.

*On voudrait croire que leurs relations ne peuvent se développer, sur un mode autre que celui de l'exclusion ou de l'ignorance réciproques.

[60]-Voir : J-P Bronkart. Une si féconde instabilité !!!. p.39.

[61] -Voir : Miche Berthet. La linguistique appliquée à l'enseignement des langues secondes. p.90.

[62]-Voir : J-F De Pietro. La linguistique appliquée, après 75 numéros… pp.100-101.

[63]-Voir : F. De Saussure. Cours de linguistique générale.Op.cit. p.129.

[64] -Voir : Martin Stugu. Linguistique populaire, language awareness, linguistique appliquée : interrelations et transitions. In : Pratiques. N° 139/140, Décembre 2008. p.89.

[65]-Voir : Martin Stugu. Les politiques linguistiques entre linguistique appliquée et linguistique populaire. In : Synergies. N°35.2012. p. 33.

[66]-Voir : Laurent Filliettaz. La linguistique appliquée face aux réalités de la formation professionnelle. In : bulletin Suisse de la linguistique appliquée. N°90. 2009. p.1.

[67]- Voir : Daniel Coste. Elans et aléa de la linguistique appliquée. pp.117-125.

[68]-Voir : Laurent Filliettaz. La linguistique appliquée face aux réalités de la formation professionnelle.p.1.

ملاحظة: تبقى حقوق النشر حصريا لجامعة محمد بوضياف بالمسيلة.